تحلم بها. لقد راح الاتحاد السوفياتي، كما هو معروف، ينتهج، منذ بداية عهد ميخائيل غورباتشيوف، سياسات جديدة، على الصعيدين، الداخلي والخارجي، تمثّلت، داخلياً، في ادخال تغييرات جذرية على بنية النظام السوفياتي، من جهة، وخارجياً في الانفتاح على دول المعسكر «الرأسمالي»، ومحاولة التعاون معه، من جهة أخرى. والواضح، ان المحرك لهذه التغييرات، على الصعيدين، الداخلي والخارجي، كانت المشاكل الحادة التي راحت تتجذّر، وتستفحل، في الاتحاد السوفياتي، واصبحت تمسّ بصورة سيئة ودائمة، حياة المواطنين اليومية، نتيجة لاعتماد نظريات واساليب واجراءات قديمة، وعديمة الجدوى، أدت الى تكلّس الحياة السياسية، وانهيار الاوضاع الاقتصادية، على ما يجرّه ذلك من مشاكل لا تحصى. وان من يشاهد الاتحاد السوفياتي يتخلّى عن نظرياته، واساليبه القديمة، ويتّجه نحو اللبيرالية والانفتاح والعصرنة، لا يستطيع الّا ان يتمنّى له، ومعه دول اوروبا الشرقية التي اخذت تنحو المنحى ذاته، الّا النجاح والمزيد من التقدم.

غير ان هذه الاصلاحات الداخلية تستلزم، ايضاً، تغييرات على صعيد السياسة والمواقف الخارجية، بصورة تمكّن من التعاون مع الدول الصناعية الأخرى في الغرب، وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية، وهو تعاون يحتاج الاتحاد السوفياتي اليه لغاياته الخاصة. ويبدو هذا الاتجاه واضحاً للغاية في الطريقة التي راح الاتحاد السوفياتي يتعامل بها مع دول الغرب عامة، وفي مقدّمها الولايات المتحدة، وفي مؤتمرات القمة الاميركية ـ السوفياتية التي عقدت خلال السنوات الأخيرة، وكذلك تلك التي يفترض ان تعقد في المستقبل.

ومن خلال حاجة الاتحاد السوفياتي الى هذا التعاون تسلّل الصهيونيون، للضغط على الادارة الاميركية، لكي تضغط، بدورها، على الاتحاد السوفياتي للسماح بهجرة اليهود منه، وهو ضغط يبدو ان الاتحاد السوفياتي، للأسف، استجاب له، وعلى الطريقة الصهيونية بالذات.

ان الحملة الصهيونية على الاتحاد السوفياتي للسماح بهجرة اليهود منه مستمرة منذ سنوات عدة. والحقيقة انه كانت هنالك، دائماً، هجرة يهودية من الاتحاد السوفياتي، وان خفّت وتيرتها او علت، من حين الى آخر، وفقاً للظروف المختلفة. والحقيقة الثانية، ايضاً، كما اتضح بالملموس خلال العشرين عاماً الأخيرة، وقبلها أيضاً، ان معظم اولئك المهاجرين لا (اداة نفي) يرغبون في التوجه الى اسرائيل، بل الى الغرب عامة، والولايات المتحدة خاصة. وكثيراً ما علا نحيب الصهيونيين وعويلهم، وهم يندبون حظهم بسبب الفرصة التاريخية، التي تضيع من بين ايديهم باتجاه المهاجرين اليهود الى اميركا، حيث «يذوبون» هناك، بدلاً من توجّههم الى اسرائيل، للمشاركة في «تحقيق» الصهيونية. ولمواجهة هذا «الفرار» اليهودي، جرّب الصهيونيون اكثر من وسيلة، الى ان اهتدوا الى الأخيرة، المعمول بها حالياً، والتي ترتكز على اكثر من ركن. فقد وجّهوا الضغوط، اولاً، الى اميركا لحملها على تحديد اعداد المهاجرين اليهود الذين يحق لهم دخولها؛ ثمّ اتجهوا للضغط على المنظمات اليهودية غير الصهيونية، الساعية الى استيعاب اليهود واعادة توطينهم في اي مكان، وليس في اسرائيل بالذات، لحملها على تقليص نشاطها، او اخضاعه للمتطلبات الصهيونية؛ واخيراً، خططوا، مع الاميركيين، للضغط على الاتحاد السوفياتي لحمله على السماح بهجرة اليهود، دون قيود، وذلك بعد تزويدهم بوثائق سفر، لا جوازات، تسمح لهم بالاتجاه الى اسرائيل فقط، دون غيرها؛ وهذا بالضبط، وبالتحديد، وعلى وجه التأكيد، ما يريده الصهيونيون واسرائيل؛ وهنا يكمن البلاء.

ان اجهزة الاعلام السوفياتية، في معرض ردها على الانتقادات المحقّة التي توجهها دوائر عربية الى موقف السوفيات من الهجرة، تشير الى ان هذا الموقف جاء من خلال الالتزام بمبادىء